العمل الوطني بين السياسة و الثقافة والأيديولوجيا

تمر علينا خلال شهر فبراير الجاري الذكرى التاسعة والخمسون لثورة 1948 الدستورية بعد ان انهزمت وفشلت في إصلاح النظام السياسي الاستبدادي للدولة الدينية التي كانت قائمة في اليمن قبل اسقاط النظام الإمامي (الرديف الشيعي لنظام الخلافة في الدولة الدينية السنية) ، واستبداله بالنظام الجمهوري على اثر قيام ثورة 26 سبتمبر 1962 م .

والحال ان ثورة 1948 الدستورية – وإن جاءت من داخل النخب الحاكمة في النظام الإمامي – لم تكن بعيدة عن مفاعيل الحركة الوطنية اليمنية التي لعبت دوراً كبيراً في إعادة صياغة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في اليمن ودمجه بحركة التحولات والمتغيرات العصرية في العالم الواقعي المحيط به .

أحمد الحبيشي

يفترض كاتب هذه السطور إستناداً الى معطيات سياسية ذات أبعاد ثقافية إن الثلاثينات شكلت الميلاد الحقيقي للحركة الوطنية اليمنية المعاصرة .. ولما كان وعي شروط الحرية لا يمكن أن يتم بدون وعي شروط الاستبداد، فإننا لانبالغ حين نقول إن بدايات انبعاث الوعي الوطني في اليمن ، ارتبطت بالدور الذي لعبته مجلة " الحكمة "- التي أصدرها الشهيد أحمد عبد الوهاب الوريث عام 1938م وأغلقها النظام الإمامي الاستبدادي عام 1948م – في تأسيس ثقافة وطنية جديدة، تفاعلت فيها أشكال الإبداع الفكري والأدبي المتنوعة باتجاه إنتاج المعرفة بالواقع واكتشاف محدداته ، وبلورة سبل تغييره ، واستشراف آفاقه.

والثابت أن القيمة التاريخية للفكر والأدب والفن تكمن في التأثير الذي يلعبه الإبداع الفكري والأدبي والفني في تشكيل الوعي الاجتماعي بصورة مستقلة عن تأثير بقية عناصر البناء الفوقي لأي مجتمع، وفي مقدمتها سلطة الدولة، الأمر الذي يجعل وظيفة الفكر والأدب والفن مجالا مستقلا لعلاقة حركية تتسم بالنشاط الواعي والهادف بين الإنسان والواقع ، سواء تم ذلك بمعزل عن البناء الفوقي للمجتمع ، أو بالتفاعل معه في حالة وجود مشروع وطني للتغيير تلعب فيه الدولة والمجتمع دوراً محورياً.

لعبت مجلة " الحكمة " دوراً غير مسبوق في صياغة اتجاهات الفكر السياسي اليمني ، على طريق تأسيس مشروع وطني للتغيير في اليمن .. وعلى صفحاتها شهدت اليمن صعود كوكبة لامعة من المفكرين والأدباء والكتاب الذين أحدثوا في المجتمع حراكا فكريا وثقافيا ، من خلال نشر عشرات الأبحاث والمقالات والدراسات التي عكست الميول الفكرية التنويرية للمعارضة الوطنية ، وسلطت الضوء على نشوء وتطور الأفكار الدستورية في العالم ، وأدت قسطها في نشر أفكار الرواد الأوائل لحركة التنوير الإسلامية أمثال رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، الى جانب نشر القصائد التي أيقظت الوعي الوطني ، وبشرت بقيم الحرية والعدالة، الأمر الذي مهد الطريق لظهور الدعوة الى تطبيق الدستور في اليمن ، والمطالبة بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية تحد من الاستبداد والتخلف والفقر والمرض والعزلة .

في هذا الاتجاه تفاعل الفن اليمني من خلال الغناء والموسيقى مع الحراك الثقافي الذي دشنته مجلة "الحكمة" في تلك الفترة، حيث تحولت القصائد المشبعة بالمضامين النقدية المباشرة وغير المباشرة إلى أعمال غنائية أسهمت في تعميق الوعي الاجتماعي بضرورة التغيير وحرضت المجتمع للكفاح ضد الظلم والطغيان .

أسفر البعد السياسي للحراك الثقافي الذي أوجدته مجلة " الحكمة " ، عن ميلاد المثقف العضوي من خلال إشهار عشرات المفكرين والشعراء الذين آمنوا بمبادئ الحرية ، ونشروا أفكار الإصلاح والتغيير، ثم تحولوا الى قادة للرأي في المجتمع ، من خلال تأسيس و إنشاء الجمعيات والهيئات الثقافية والاجتماعية ، بهدف الدعوة الى الإصلاح .. وبسبب نشاطهم سيق بعضهم الى ساحة الإعدام ، فيما سيق آخرون الى السجون .

من نافل القول أن مجلة " الحكمة " لعبت دوراً بارزاً في تشكيل مناخ فكري قامت على تربته ثورة 1948م الدستورية .. وليس صدفة أن يتزامن إغلاق مجلة " الحكمة " مع قيام هذه الثورة التي أدى فشلها إلى انتشار موجة واسعة من الإعدامات والاعتقالات وحملات القمع والتنكيل بنجوم الحرية ورواد الأوائل ، وبضمنهم رئيس تحرير " الحكمة " الشهيد الخالد أحمد عبدالوهاب الوريث ، بالإضافة إلى إصدار فتوى بتحريم الغناء والعزف على العود والآلات الموسيقية ومنع المواطنين من استخدامها في الأفراح ، وكانت تلك الفتوى تستهدف إغلاق كافة المنابع التي أسهمت في تكوين ثقافة وطنية تحررية تنطوي على نقد الأوضاع السائدة والدعوة الى تغييرها .

و الثابت ان هذه السياسة القمعية كادت أن تقضي على التراث الغنائي الصنعاني المشهور، لولا انتقال الأغنية الصنعانية إلى مدينة عدن التي يعود إليها الفضل في المحافظة عليها بواسطة عدد من الفنانين الذين عملوا على نشر الأغنية الصنعانية في عدن ، وتوثيقها وتسجيلها على أسطوانات.

يقيناً أن انتقال المثقفين والفنانين اليمنيين من الهاجس الفردي الذي يتمثل في السخط الذاتي على الواقع من داخل المثقف نفسه، إلى الهاجس الجماعي من داخل المجتمع نفسه ، ارتبط بظهور اتجاهات متنوعة لتطور الثقافة الوطنية اليمنية خلال الثلاثينات والأربعينات ، في بيئة متخلفة لا تتوافر فيها فواعل اقتصادية وسياسية قادرة على الاستجابة لتحديات التغيير المنشود وإنضاج شروطه .. ولئن تنوعت مرجعيات تلك الاتجاهات بين الفكر الديني التقليدي والفكر الدستوري الغربي والفكر الإسلامي التنويري ، إلا أن النزعة الإصلاحية كانت القاسم المشترك فيما بينها .

كان لهذه الاتجاهات المتنوعة فضل ظهور البذور الأولى للفكر الجديد في تربة الثقافة الوطنية اليمنية المعاصرة، التي شكلت رافعة أساسية لتطور الفكر السياسي في اليمن منذ بدايات الانبعاث الوطني العام وحتى الخمسينات ، حين شهدت بلادنا ميلاد تيارات فكرية جديدة ومعاصرة تطورت على أساسها الحركة الوطنية اليمنية المعاصرة ، و دخلت تحت تأثيرها طورا تاريخيا جديدا تمثل بقيام ثورة 26 سبتمبر 1962م وثورة 14 أكتوبر 1963م وتحقيق الاستقلال الوطني 1967م ، وظهور دولتين شطريتين إقتسمتا الهوية الوطنية اليمنية في ظروف معقدة، وصولا إلى قيام الجمهورية اليمنية في الثاني والعشرين من مايو 1990م ، الذي أنهى التشطير وأعاد للوطن اليمني المجزأ وجهه الشرعي الواحد، في سياق أول عملية تاريخية معاصرة للتحول نحو الديمقراطية التعددية في اليمن .

على تربة الدور الوظيفي للثقافة الوطنية الجديدة شهدت اليمن بدايات استيقاظ الوعي الوطني في الثلاثينات .. وعلى خلفية البعد الثقافي للحراك السياسي في المجتمع كان العمل الوطني ينمو ويتطور ..وحين قامت ثورة 1948م الدستورية لتعبر عن آمال وأشواق شعبنا الى الحرية والانعتاق من الاستبداد والخروج من أنفاق التخلف والعزلة والظلام ، كان علماء الدين المفكرون والأدباء هم قادتها وشهداؤها . كما هو الحال في صنعاء وتعز وحجة والحديدة .. كان الحال كذلك في عدن ولحج وحضرموت حيث كان المفكرون والمثقفون والكتاب والأدباء والصحافيون والفنانون يجسدون الوحدة العضوية بين الثقافة والسياسة ، ويحملون رايات الكفاح ضد الاستعمار والتجزئة ، ويرفعون شعارات الحرية والاستقلال والوحدة .

كانت الثقافة الوطنية تمارس سلطتها المعرفية على المجال السياسي للعمل الوطني وتؤسس نظاماً أخلاقياً للقيم، فيما كان العمل الوطني يسعى من خلال المجال السياسي الى بلورة مشروع وطني للتغيير على تربة الثقافة الوطنية التي أغنت الوعي الوطني بأفكار الحرية ، وتصدت بجسارة للثقافة الإمامية المندثرة بإيديولوجيا دينية مذهبية ، ولثقافة الإستلاب الاستعمارية التي استهدفت تكريس التجزئة ، ومصادرة الهوية اليمنية وتسويق هوية بديلة يضيع فيها وبها الوجه الشرعي للوطن الواحد .

وإذا كان ما يميز الرعيل الأول من قادة الحركة الوطنية اليمنية المعاصرة شمالا وجنوبا أنهم من العلماء والمفكرين والكتاب والأدباء والصحافيين وخريجي الجامعات العربية والأجنبية ، الأمر الذي يشير بوضوح الى البعد الثقافي لمشروع التغيير ، فقد كان الرواد الأوائل لثورة 26 سبتمبر 1962 هم أيضاً من طلاب وخريجي المدارس العسكرية في صنعاء ، وخريجي الكليات الحربية في مصر والعراق ، الذين قامت على أكتافهم بعض الاصلاحات التي اضطر النظام الإمامي الى تنفيذها في الجيش ، بعد أن كشفت حروبه مع الجيران والبريطانيين ضرورة الشروع في بناء وتحديث الجيش والنظام التعليمي . بيد أن هؤلاء الثوار لم يوظفوا معارفهم العسكرية والعلمية التي اكتسبوها من أجل خدمة النظام الإمامي الاستبدادي ، بل وظفوها لتخليص الوطن من ظلمه وظلامه ، وإيقاد شعلة الحرية في ربوعه .

صحيح أن ذاكرتنا الجماعية لا تخلو من بقع سوداء لفصول دامية ومأساوية شوّهت العمل الوطني الثوري وأثقلت سيرته بالآلام والأخطاء والجراح الغائرة .. لكن ذلك كان يحدث فقط عندما كان المجال السياسي للعمل الوطني ينفصل عن مجاله الثقافي وينقاد لسطوة الإيديولوجيا وأوهامها، فتكون النتيجة مزيداً من الفصل بين السياسة والأخلاق، ومزيداً من الاغتراب عن الواقع والثقافة الوطنية ، ومزيداً من الابتعاد عن نظام القيم الأخلاقي والبساطة المعرفية لثقافة الحرية !!

نقلا عن / صحيفة (26 سبتمبر)

الشرق الأوسط أمامنا فرصة جديدة للسلام

جيمي كارتر

الرئيس الأميركي الأسبق والحائز على جائزة نوبل للسلام

اشعر بقلق إزاء تحول النقاش حول كتابي: فلسطين: السلام وليس التفرقة Palestine Peace Not Apartheid، عن المقترحات الأساسية التي وردت فيه، أي استئناف محادثات السلام بعد ست سنوات من التأخير، فضلا عن وضع نهاية للاضطهاد المأساوي بحق الفلسطينيين. وعلى الرغم من أن غالبية النقاد لم يفندوا بصورة جادة أو يذكروا الحقائق والمقترحات حول هاتين القضيتين، فهناك حملة منظمة، في ما يبدو تركز على عنوان الكتاب، بالإضافة إلى ادعاءات يزعم أصحابها أنني معاد لإسرائيل. هذا المسألة ليست ذات فائدة لأي من الذين يتمسكون بوضع إسرائيل كدولة مسالمة تعيش في انسجام مع جيرانها.

إعلان الرئيس بوش أن السلام في الأرض المقدسة سيدرج ضمن الاولويات المهمة لإدارته، خلال فترة العامين المقبلين، مبادرة مشجعة، وكذلك مناشدة كوندوليزا رايس، خلال زيارتها الحالية إلى منطقة الشرق الأوسط، إجراء لقاء اميركي-إسرائيلي-فلسطيني مبكر، فيما أوصت وزيرة الخارجية الأميركية رايس بقبول العرض الذي تقدمت به ٢٣ دولة عربية عام ٢٠٠٢ كأساس للتوصل إلى حل سلمي، أي الاعتراف الكامل بإسرائيل على أساس العودة إلى حدودها المعترف بها دوليا. هذا العرض ينسجم مع السياسة الاميركية الرسمية والاتفاقيات السابقة، التي صادقت عليها الحكومات الإسرائيلية خلال الفترة من ١٩٧٨ إلى ١٩٩٣ وخطة «خريطة الطريق» للسلام، بمشاركة المجموعة الرباعية (الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة).

الحقيقة التي لا تحتاج إلى شرح، هي أن إسرائيل لن تتوصل إلى سلام إلى أن تنسحب من أراضي الجوار المحتلة وتسمح للفلسطينيين بممارسة حقوقهم السياسية الأساسية، وحقوقهم الأساسية كبشر.

فكرة الأراضي العربية مقابل السلام ظلت مقبولة على مدى عقود من الزمن لدى غالبية الإسرائيليين، ولكنها مرفوضة لدى أقلية من القادة المحافظين، الذين تؤيدهم للأسف غالبية الجالية اليهودية الاميركية.

هذه الأسس يجب بالطبع أن تكون مقبولة من جانب أي حكومة تمثل الفلسطينيين، والى ذلك أظهرت نتائج استطلاع للرأي أجرته في مارس (آذار) ٢٠٠٦ الجامعة العبرية بالقدس، بالاشتراك مع المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسيحية في رام الله، أن نسبة قبول هذا الحل وسط المواطنين في الأراضي المحتلة تبلغ ٧٣ بالمائة. كما أعرب رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية عن تأييده إجراء محادثات بين الرئيس محمود عباس ورئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود اولمرت، وتعهد بوضع نهاية لموقف حركة حماس الرافض، في حال التوصل إلى اتفاق يقبله الشعب الفلسطيني.

موقف رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس، كان متعقلا في تأكيده مجددا لكوندوليزا رايس على رفضه أي حدود «مؤقتة» للدولة الفلسطينية. كما أن صيغة «خريطة الطريق»، التي جرى التوصل إليها قبل حوالي ثلاث سنوات، بغرض التوصل إلى حل نهائي، لم تحقق هدفها المنشود.

من جانبي أدرك من واقع التجربة والخبرة، أن التوصل إلى اتفاق مؤقت أكثر صعوبة، مقارنة بمعالجة القضايا الحاسمة التي يجب التوصل بشأنها إلى حل بغية تحقيق هدف السلام.

ذلك لأننا إذا ما أخذنا في الاعتبار التطورات الأخيرة، بالإضافة إلى الدور المرتقب للحزب الديمقراطي الاميركي بلعب دور أكثر أهمية في الحكم بصورة عامة، فإن الوقت الراهن فرصة مناسبة لسياسة حزبنا تجاه الشرق الأوسط. هناك خيارات متعددة، في الوقت الذي يحاول فيه الكونغرس التوفيق بين مقترحاته وسياسة البيت الأبيض، كما لا شك في أن المقترحات الأساسية للجنة بيكر-هاملتون تشكل أساسا جيدا، يمكن أن يتوصل الديمقراطيون اعتمادا عليه إلى موقف يحظى بالإجماع.

هذه السياسة يمكن أن تشكل ردا معقولا على الادعاءات، التي يزعم مرددوها أن جعبة الحزب الديمقراطي خالية من أي بدائل خاصة بالحزب، في ما يتعلق بمعالجة مأزق العراق.

ومن هنا فالعامل الرئيسي في أي سياسة اميركية تجاه العراق، سيكون مطالبة حكومة رئيس الوزراء نوري المالكي بقوة بالتعاون لإنهاء العنف الطائفي، مع إعلان واضح بخصوص الخطط الخاصة بسحب القوات الاميركية.

ويمكن القول هنا أيضا، وفي ذات السياق أيضا، إن الالتزام بالتعاون الإقليمي، بما في ذلك طرح فرص مشاركة أمام إيران وسورية، سيكون جانبا ايجابيا ومفيدا في طمأنة العراقيين المتشككين بأن الولايات المتحدة لم تعد القوة الخارجية المهيمنة على صياغة جيشهم ومستقبلهم السياسي والاقتصادي.

وعلى الضفة الأخرى، وعلى الرغم من انتقادات رئيس الوزراء الإسرائيلي لبعض توصيات لجنة بيكر-هاملتون، فإن التوصية الأكثر صعوبة لدى الكثير من الديمقراطيين، هي المناشدة لإجراء محادثات سلام حقيقية بشأن القضية الفلسطينية. وهنا لا بدّ من التذكير بأن الوضع في الأراضي المحتلة سيظل عاملا حاسما، وسيكون من المفيد بالنسبة لمجلسي النواب والشيوخ إرسال وفد يتحلى بالمسؤولية إلى الضفة الغربية وقطاع غزة لمراقبة الوضع بصورة مباشرة، وللالتقاء بالقيادات الرئيسية، ولطمأنة الأطراف المعنية، وللتأكيد على احتمالات السلام في حالة انطلاق محادثاته، إنني على قناعة بأن هذه فرصة جيدة لإحراز تقدم في هذا الجانب بدعم من الحزبين الديمقراطي والجمهوري.

عن /«واشنطن بوست»

نرفض «الطائفية» السنيّة أيضا

المضحك أنك ترى النار تحتل الأمكنة كلها وتطيل ألسنتها في وجه الجميع! ترى الدخان الأسود القبيح يلاحق نسيمات الهواء، ترى الخراب الأغبر يطوق الجهات الأربع، ترى كل ذلك، ثم تسمع ساسة ورجال شأن عام يكذبون عليك ويقولون: كل شيء حسن، انتم فقط الذين تلبسون نظارات سوداء!

طالعوا العراق، فقد حذر المحذرون، من إضاعة النصر والحدث «الجميل» المتمثل بإسقاط النظام الديكتاتوري، وإمكانية أن ينجح العراقيون، في هذه السانحة التاريخية النادرة، التي تمثلت في وجود مصلحة أمريكية في إسقاط النظام، واستغلال هذه اللحظة في بناء عراق تعددي مهتم بالبناء والتنمية، وعدم تضييع هذه اللحظة بترك الغرائز الطائفية والإثنية تطفو على السطح، متسلحة بأنياب المذهب وأظفار الميليشيا، ولكن لم يصغ أحد، وأولهم الأمريكي، وكان الحصاد أن تمطت أفعى القاعدة الزرقاوية في العراق، وركبت على مركب التوتر السني، والتحفز البعثي، فكتبت فصلا داميا في تاريخ هذا البلد، وكانت تقتل على الهوية الطائفية..

ثم كان الحصاد أيضا أن أصبح رجل متعصب مغرق في وعيه الطائفي الفقير، مثل مقتدى الصدر، سيدا من سادات العراق، توجد له في البرلمان كتلة نيابية، وفي الشارع ميليشيا تذبح وتوزع الرعب متشحة بالسواد، وتجعل شخصا مسكونا بالتوتر المذهبي، مثل حارث الضاري لاعبا رئيسا في العراق.

ما حصل في العراق، حصل، وقد بلغ من العري درجة جعلته يتغلب على محاولات التجميل السياسية، التي بذلها بعض الساسة في العراق، ومنهم مؤخرا عبد العزيز الحكيم، الذي قال في مقابلة تلفزيونية، إنه ليس صحيحا أنه توجد حرب طائفية في العراق، بل خلافات سياسية!

الآن في لبنان، نرى نفس «الأكاذيب»، فالكل يرفع علم لبنان، قوى ١٤ آذار، وقوى المعارضة بقيادة حزب الله، والكل يهتف: عاش لبنان، ويقول إنه ضد الشعارات الطائفية والمذهبية، الكل يقول إنه سيحاسب من يطلق مثل هذه الشعارات أو يتحدث بلغة طائفية، ولكن الكل لا يخبرنا من الذي يهتف: «يا نصر الله لا تهتم، معك شيعة بتشرب دم»، أو يطلق شعارات في أحياء السنة البيروتية ضد «الصفويين الشيعة»؟!

مشاري الذايدي

الواقع أن الشارع مشحون، ولا يمكن شحنه بهذا القدر من السخونة إلا باستخدام مياه دفع قوية، تصل إلى أغوار الأغوار في نفس الكائن المتحرك في الشارع، هذه المياه الدافعة هي مياه الهوية: دينية كانت أم اثنية أم عشائرية... وهذا هو الذي يحصل حاليا في لبنان.سأورد فقط بعض الأمثلة، غير ما نسمع من قيادات الفريقين في كلامهم المنمق «الطاهر» من وضر الطائفية..

في فقرات مؤثرة، جاءت على لسان شابتين لبنانيتين، تنتمي كل منهما إلى فريق، ونشرت مؤخرا في صحيفة «الشرق الأوسط»، تقول الأولى «باتريسيا» وهي شابة مسيحية من أنصار قوى ١٤ آذار، وتسكن بيروت الشرقية، إنها باتت تتحاشى لقاء الناس، لكي لا تتخاصم معهم، خصوصا الأصدقاء من الفريق الآخر.

وتضيف «أخاف أن اسمع كلاما استفزازيا وأرد عليه، لأنني لم اعد أستطيع أن الجم لساني. الناس محقونة. الشوارع محقونة. بت أرى وجه الحقد في بيروت».

أما فاديا، وهي فتاة شيعية من أنصار حزب الله، فتقول إنها تخشى الذهاب للمناطق المختلطة مذهبيا «خاصة خلال الليل لأنني لا اعرف متى يقع الإشكال» بين مؤيدي حزب الله وأنصار الحكومة.

في مستوى آخر، بدأت المشاعر الطائفية تظهر بسفور، أين منه سفور فاروق حسني!

دعونا هنا نتحدث عن المشاعر الطائفية السنية، التي بدأت تكشف عن نفسها بكل فجاجة، وأقتصر عليها، لأن البعض من القراء يعتقد أن الكلام عن الطائفية هو موجه فقط ضد الطائفة الشيعية، لا! فمواجهة الثقافة الطائفية قضية مبدأ وموقف، لا علاقة لها بمعسكر هذه الطائفة، لكن وللأسف، ورغم أن كثيرين كتبوا ضد التعصب السني، وأنا شخصيا منهم، كتبت ضد التعصب السني في العراق، وضد الجماعات السنية الإرهابية مثل القاعدة، أو المستخدمة للدين كرافعة سياسية، مثل الإخوان وغيرهم، رغم هذا كله، وهو كثير ومتعدد ولم ينقطع، إلا أنه يذهب كله في غربال النسيان، لدى بعض محبي حزب الله أو إيران او الصدر او الحكيم، لمجرد أنك تحدثت ناقدا ورافضا للمشروع الطائفي، الذي تنفذه الأحزاب الشيعية الأصولية في العراق أو في لبنان أو البحرين، برعاية إيران..

فحين ننتقد هذه التيارات، تتهم فورا بالطائفية السنية! والتغاضي عن التعصب السني.. و«كأنك يا أبو زيد ماغزيت»!

ربما عنى هذا، فيما عني، هيمنة الوعي الطائفي المتخلف على الجميع، ومعناه أيضا، أن الجميع يكذب على الجميع حينما يثرثر عن الوطنية والأمة الواحدة... الخ

على كل حال، ما يثير القلق والخوف الشديد الآن، هو انبعاث هذه الروائح الطائفية في أزمة لبنان الأخيرة، فهذا مفتي جبل لبنان الشيخ محمد علي الجوزو يتحدث عن خطاب السيد نصر الله الأخير، وهو خطاب متشنج وسيئ بلا شك، إلا أن الشيخ الجوزو يرد بطريقة أسوأ! حينما يقول واصفا نصر الله، وبالنص، كما في حديثه لـ«الشرق الأوسط»: «أوهام وخيالات مريضة وعقد نفسية تاريخية وأحقاد مذهبية لم يستطع إخفاءها. وثقافة عريقة في التطاول على الكبار، الكبار في التاريخ الاسلامي».

والإشارة واضحة طبعا إلى البعد الطائفي، والأدبيات الهجائية التقليدية المتبادلة بين السنة والشيعة على مدار التاريخ الإسلامي.

وهذا هو رجل دين سني، لا أعرف وزنه في لبنان، لكن أعرف انه متابع لدى بعض المتعصبين ضد الشيعة في الخليج، وهو الشيخ عبد الرحمن دمشقية، يخصص موقعا كاملا على الانترنت لـ«الدفاع عن أهل السنة»، ويكتب مهاجما الشيخ فتحي يكن، الذي أم صلاة الجمعة بجمهور حزب الله، طبعا خطوة فتحي يكن سياسية، أو هي نوع من «الصلاة السياسية»، ولكن هذا الشيخ، اعني دمشقية، أراد أن «يكحلها فعماها»، فتحدث في بداية مقاله الملتهب الذي عنونه بـ«نداء للسنة في لبنان بالتعبئة العامة ونداء للخونة فتحي وغيره» ، مخاطبا جمهور السنة في لبنان وخارج لبنان على طريقة: «يا غيرة الدين»، التي يعرفها لبنان الطائفي جيدا!

يقول: «لا أخصص النداء بتعبئة السلاح مع أن الأخذ بأسباب الحماية والدفاع عن الأنفس والأعراض مبرر حتى لا نذبح كالنعاج كما فعل أحفاد عبد الله بن سبأ بإخواننا في العراق»! التعجب من عندي طبعا..

هذا شيء مقلق، ويجب أن يقلق منه الساسة كثيرا، لأنه قد تنتهي المشكلة السياسية وتنجح جهود «أهل الخير»، لكن من يهدئ هذا الشارع الذي بعثت فيه أكثر الغرائز النفسية تدميرا؟!

للأسف، أننا فعلا نعيش على «خزان بارود يوشك ان ينفجر»، كما قال الملك عبد الله بن عبد العزيز.

أيها السادة: تذكروا كيف أن استغلال المشاعر الدينية –ة في حرب «المجاهدين» في أفغانستان لأغراض سياسية بحتة، كيف انه تسبب للجميع بولادة الأفغان العرب، و«عقل» الأفغان العرب وهو الأخطر..

وكيف أن المواجهة مع إيران الخمينية طيلة الثمانينات، وما صاحبها من دعم وتشجيع الأدبيات الطائفية التي تتحدث عن «المجوس» و«الصفويين»، قد تسبب بشروخ عميقة في المجتمعات العربية التي يكون الشيعة جزءا من نسيجها...

اللعب بالورقة الدينية خطير ومدمر، صحيح انك قد تكسب بها بطريقة سريعة وفعالة، كما نرى الآن في احتشاد السنة خلف السنيورة، وهو السلاح الأمضى للحكومة الآن، إن أردنا الحقيقة! وهو الذي ربما أربك حسابات السيد نصر الله وفريقه، ولكنه سلاح سريع الخروج من غمده، بطيء الرجوع إليه... إلا بعد أن يدمي ويجرح.

نحن لسنا بحاجة إلى نار نوقدها تحت حطب الطائفية اليابس الجزل، فلدينا الكثير و: «كتر خير الله»، كما يقول اللبنانيون.. وما انتخابات البحرين الأخيرة ذات النفس الطائفي عنا ببعيد، وأيضا بيانات الاسلاميين السلفيين في السعودية، التي تطالب بنصرة السنة في العراق ومحاربة «الرافضة»، وآخرها ما نشرته وكالات الأنباء أمس ووقع عليه شيوخ يحبون مثل هذه الأشياء، مثل ابن جبرين والبراك وناصر العمر، والأخير يبدو أنه يحب كثيرا تحريض السنة وتنبيههم طائفيا، فهو الذي اشتهر قبل فترة بكتابة «تقرير» عن الخطر الشيعي في السعودية..

لسنا بحاجة لكل هذا، بل الى شيء آخر غير هذا.

المحزن أن هذه الأمثلة ليست سرا يطوى ولا ينشر، بل هي معروفة وذائعة...

فهل من يد بيضاء تلقي ماء باردا على نار الجنون والتعصب في ديارنا، تلك النار التي لا تريد أن تخمد؟! كم نحن تواقون لهذا اليوم...

ولهذه اليد.

كاتب سعودي

محاكمة فرنسية لمثقفي العرب والإسلام

ماذا يمكن ان تقول عن كتاب ضخم يستعرض تاريخ الفكر العربي الاسلامي على مدار ستة عشر قرنا: اي منذ الجاهلية وحتى اليوم؟ بالطبع يستحيل عليك تلخيص اطروحاته في مقالة واحدة او حتى في عشر مقالات. ومع ذلك ينبغي ان نقول عنه كلمة لأنه يتحدث عن فكرنا وتاريخنا وهمنا الاساسي في هذا العصر: اي كيفية التوفيق بين التراث المتراكم والحداثة الوافدة من الخارج. وهذا التراث المكبوت أخذ ينفجر من الماضي السحيق انفجارا الآن ويصيب بشظاياه وجوهنا ووجوه غيرنا. وسوف يظل الامر كذلك ما دمنا لا نتجرأ على النبش عنه، على الحفر عن جذوره الدفينة، على دراسته دراسة علمية تاريخية رصينة. اقول ذلك وانا افكر بمسألة الطائفية والمذهبية التي تشتعل الآن في كل ارجاء المشرق العربي من العراق الى لبنان الى الخليج العربي.

هشام صالح

واذا كان المثقفون العرب - أو معظمهم - لا يتجرأون على مواجهة الوضع صراحة او على تسمية الاشياء بأسمائها خوفا من المجتمع، فإن المثقف الفرنسي يستطيع ان يفعل ذلك لأنه يتحدث من الخارج ويكتب بلغة اجنبية تقيم بينه وبين الواقع المشتعل مسافة ما. يضاف الى ذلك انه يعيش في بلد يؤمّن له الحماية وحرية البحث والتفكير. من هنا اهمية البحوث التي تصدر عن التراث العربي الاسلامي باللغات الاجنبية وبخاصة الانجليزية والفرنسية والالمانية.

انها لمأساة ان تكون مضطرا لقراءة أعمال المستعربين والأكاديميين الأجانب من أجل فهم تراثك العربي الاسلامي بشكل تاريخي، واقعي، دقيق! وهذا الكتاب الذي لم أنته من قراءته حتى الآن يلقي اضاءات لا يستهان بها على كل مراحل تاريخنا الفكري. فمن يريد ان يعرف كيف حصل الانتقال من الجاهلية الى الاسلام ينبغي ان يقرأه. ومن يريد ان يعرف كيف ظهرت الفرق او الانقسامات الاولى في الاسلام ينبغي ان يقرأه. ومن يريد ان يعرف كيف ظهرت الفلسفة والفكر العلمي ابان العصر الذهبي ثم افولها بعدئذ والدخول في عصر الانحطاط ينبغي ان يقرأه. ولا أقصد بذلك انه كتاب معصوم او جامع، شامل، مانع، ولكنه يمثل اجتهادا ويشكل ثمرة بحوث طويلة لمؤلفه «دومينيك اورفوا» استاذ الفكر والحضارة العربية في جامعة تولوز بجنوب غرب فرنسا، وكان قد نشر سابقاً عدة كتب عن ابن رشد والحياة الثقافية في الأندلس بالإضافة إلى كتاب لفت الانتباه عن المفكرين الأحرار في الاسلام الكلاسيكي من أمثال ابن المقفع، وحنين بن اسحاق، والمعري، وابي بكر الرازي، وابن الراوندي، الخ. وهم بالإضافة الى المعتزلة والفلاسفة يمثلون «المرحلة التنويرية» من تاريخ الفكر العربي الاسلامي. ولكنهم مدانون من قبل الأصولية التي سيطرت على الساحة بعد موت ابن رشد عام (١١٩٨). لكن لنعد الى موضوعنا الاساسي.

الفصل الأخير من هذا الكتاب الضخم مخصص للتيارات الحامية السائدة في الفكر العربي. وهنا يناقش المؤلف أطروحات المثقفين التحديثيين الذين يريدون تجديد التراث او نفض الغبار عنه او مصالحته مع قيم العالم المعاصر. بمعنى آخر فإنه يريد ان يتحدث عن مشاريع نقد التراث التي ازدهرت في الآونة الأخيرة على يد الجابري، واركون، ونصر حامد ابي زيد، وحسن حنفي، ومحمد سعيد العشماوي، وطيب تيزيني، وصادق جلال العظم، ومحمد طالبي، وعبد المجيد الشرفي، الخ.. هذا دون ان نتحدث عن أسلافهم الذين فتحوا معركة التراث منذ عصر النهضة كشكيب ارسلان، وفرح انطون، ومحمد عبده، ومحمد اقبال، وعلي عبد الرازق، وطه حسين، وعبد الرحمن بدوي.. الخ.

ولا ينسى المؤلف ان يتحدث في نفس الوقت عن ممثلي التيار المضاد للتحديث: اي تيار أبو الاعلى المودودي، والخميني، وسيد قطب، وكل الأصوليين المعاصرين. وهو يطرح الإشكالية بشكل ذكي منذ البداية، اذ يقول: جميعهم يتحدثون عن أمجاد التراث ولكن ليس هناك اتفاق على نوعية هذه الأمجاد. فهل تتمثل في ابن تيمية أم في المعتزلة؟ هل تتمثل في القاضي عياض بطل المذهب المالكي في القرن الثاني عشر أم في ابن رشد بطل الفلسفة العقلانية؟

هكذا نلاحظ انه يوجد انقسام بين المثقفين العرب حول هذه المسألة. فإذا كنت من أتباع الأصوليين اخترت الحل الأول بدون تردد، وإذا كنت من أتباع التحديثيين اخترت الحل الثاني. فالواقع ان للتراث وجهين لا وجهاً واحداً. والمعركة الدائرة حول التراث حالياً تخص الحاضر بالدرجة الأولى وليس فقط الماضي. او قل انها معركة تستخدم فيها أسلحة الماضي من اجل الحاضر والعكس صحيح أيضاً.

يستعرض دومينيك اورفوا مشروع الجابري بسرعة ويقول بانه يريد احياء فكر ابن رشد وتجسيده في شخصه، من هنا الجاذبية التي مارسها على المثقفين العرب. ولكنه يظل مشروعا تبسيطيا او غير مقنع في نهاية المطاف على الرغم من ميزاته التي لا تنكر. نقول ذلك وبخاصة انه يعتقد بان العقلانية حكر على المغرب الاسلامي في شخص ابن رشد، واللاعقلانية حكر على المشرق الاسلامي متجسدة في ابن سينا. فهذا كلام تبسيطي لا يصمد امام الامتحان ولا يشرح لنا سبب تخلف المغرب والمشرق على السواء. وهنا تكمن محدودية مشروع نقد العقل العربي، بالاضافة الى نواقص اخرى عديدة.

اما محمد اركون. صاحب نقد العقل الاسلامي فمشروعه مختلف وان كان ينسب نفسه تراثيا الى نفس المرجعية العقلانية: اي مرجعية ابن رشد. فهو يقدم مشروعا ضخما لتجديد الدراسات الاسلامية والقرآنية من خلال تطبيق مناهج العلوم الانسانية عليها. ولكن المؤلف يعيب عليه انه يظل في مرحلة التنظير والتخطيط لبرامج الدراسة وورشات العمل اكثر مما ينتقل الى مرحلة التنفيذ العملي. وهذا كلام غريب الشكل وغير مفهوم بالنسبة للمطلع جيدا على مشروع اركون. فقد اكثر من ضرب الامثلة العملية المحسوسة من خلال قراءته الدقيقة جدا لسورة الفاتحة، او سورة اهل الكهف، او مفهوم العقل والعقلانية في التراث او مفهوم النزعة الانسانية ابان العصر الذهبي للفكر العربي الاسلامي، الخ..

باختصار فان تقييم هذا الباحث الفرنسي يبدو مبتسرا احيانا وغير دقيق وربما هو متسرع اكثر من اللزوم. يضاف الى ذلك انه يطالب المثقفين العرب باحداث قطيعة مطلقة مع التراث او مع الرؤية التقليدية والتقديسية المتشكلة عنه منذ مئات السنين والراسخة في الوعي الجماعي الجبار. وهذا شيء مستحيل في المدى المنظور.

كاتب سوري

أخي المواطن .. أختي المواطنة:

معركتنا مع الإيدز معركة التزام جماعي الكل يشارك والكل فيها مسؤول